مِن أجل ثقافة شيعية أصيلة

برنامج
في فناءِ الكافي الشريف

عبدُ الحليم الغِـزّي

منشـورات موقع زهرائيّون

برنامج

في فناءِ الكافي الشريف

برنامج تلفزيوني عرضته قناة المودّة الفضائية

في إثنتا عشر حلقة وبطريقة البث المباشر

ابتداءاً من تاريخ : 06 / 03 / 2010

يـــا زهـــــراء

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللّٰهمَّ صلي على فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسِّر المستودع فيها

الحلقة الثالثة

الحلقة الثالثة من برنامجنا في فناء الكافي الشريف وصلنا إلى الباب الذي عنوانهُ: **أن الأرض لا تخلو من حجة.** الكلام في الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف وفي كتاب الحجة ووصل الحديث إلى هذا الباب أن الأرض لا تخلو من حجة. جملة من الأحاديث الشريفة تدورُ حول هذا المضمون أن الأرض لا تخلو من حجة والمراد من الحجةِ هو الإمامُ المنصوبُ من قِبَل الله سبحانه وتعالى أمرُّ عليها مروراً سريعاً لأن النصوص واضحة في دلالاتها وفي معانيها.

الحديثُ الأول بِسَنَدهِ **عن الحسين بن ابي العلاء قال قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: تكونُ الأرضُ ليس فيها إمام؟ قال: لا، قلت: يكونُ إمامان؟ قال: لا، إلا وأحدهما صامت.** نحنُ الآن نَمُرُّ على هذه الروايات مروراً سريعاً ثم نُعَقِّبُ على مجمَلِ مضامينها ومعانيها – **قلتُ يكونُ إمامان؟ قال: لا، إلا وأحدهما صامت.** فيمكن أن يكونَ في الأرض إمامان لكن لابد أن يكون أحدهما صامت، ومن أفضل الأمثلةِ على ذلك إمامة الحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهما وهكذا في زمان كل إمامٍ من الأئمة كإمامة إمامنا الصادق في زمان إمامة إمامنا الباقر صلوات الله وسلامه عليه.

الرواية الثانية **عن إسحاق بن عمَّار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعتهُ يقول: إن الأرض لا تخلو إلا وفيها إمام كي ما أن زاد المؤمنون شيئاً ردهم وإن نقصوا شيئاً أتمهُ لهم** – من أمر دينهم، هذا من عندي توضيح للحديث، الرواية تقول: **كي ما أن زاد المؤمنون شيئاً ردهم وإن نقصوا شيئاً أتَمهُ لهم.**

الرواية الثالثة **عن عبد الله بن سليمان العامري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما زالت الأرضُ إلا ولله فيها الحجة يُعرِّفُ الحلال والحرام ويدعو الناس إلى سبيل الله.**

الرواية التي بعدها الرابعة **عن الحسين بن أبي العلاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلتُ: له تبقى الأرضُ بغير إمام؟ قال: لا.**

الرواية التي بعدها **عن أبي بصيرٍ عن أحدهما عليهما السلام** – عن أحدهما إما عن الباقر أو عن الصادق صلوات الله عليهما – **قال: قال إن الله لم يدعَ الأرضَ بغير عالمٍ ولولا ذلك لم يُعرّفُ الحقُّ من الباطل.**

الرواية السادسة **عن أبي بصيرٍ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله أجلُّ وأعظمُ من أن يترك الأرض بغير إمامٍ عادل.**

الرواية السابعة **عن أبي إسحاق عمَّن يثقُ بهِ من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: اللَّهُمَّ إنك لا تخلي أرضك من حجة لك على خلقك.**

الرواية الثامنة **عن أبي حمزةً عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: قال والله ما ترك الله أرضاً منذُ قَبَض آدم عليه السلام إلا وفيها إمامٌ يُهتدىَ بهِ إلى الله وهو حجتهُ على عباده ولا تبقى الأرضُ بغير امام حجةٍ لله على عباده.**

الرواية التاسعة **عن أبي عليٍ بن راشد قال: قال أبو الحسن عليه السلام: إن الأرض لا تخلو من حجةٍ وأنا والله ذلك الحجة** – حينما تأتي أبو الحسن مُطلقة يُقصَدُ بها إمامنا الكاظم صلوات الله وسلامه عليه في غالب الأحوال.

الرواية العاشرة **عن أبي حمزةَ قال: قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: أتبقى الأرضُ بغير إمام؟ قال: لو بقيت الأرض بغير إمامٍ لساخت.**

الرواية الحادية عشر **عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قلت: له أتبقى الأرضُ بغير إمام؟ قال: لا، فقلتُ: إنا نروي عن أبو عبد الله عليه السلام؟ أنها لا تبقى بغير إمامٍ إلا أن يسخط الله تعالى على أهل الأرض أو على العباد، فقال: لا، لا تبقى إذاً لساخت.**

الرواية التي بعدها وهي الثانيةُ بعد العاشرة **عن أبي هراسة عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: لو أن الإمام رُفِعَ من الأرض ساعة لَماجت بأهلها كما يموجُ البحرُ بأهله.**

الرواية الأخيرة من روايات هذا الباب **عن الوشَّاء قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام هل تبقى الأرضُ بغير إمام؟ قال: لا، قلتُ إنا نروي أنها لا تبقى إلا أن يسخط الله عزَّ وجلَّ على العباد، قال: لا تبقى إذاً لساخت.**

هذه جملة من الروايات ومن الأحاديث التي جمعها شيخنا أبو جعفر الكليني في هذا الباب الذي عنّونهُ بابٌ أن الأرضَ لا تخلو من حجة. هناك عندنا روايات كثيرة ليس فقط هذه الروايات مروية عن النبي وعن الآل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من أن الأرض لا تخلو من حجة لكننا نحنُ وكتاب الكافي الذي بين أيدينا، الروايات التي جمعها الشيخ الكليني في هذا الباب تحدَّثت عن جوانب وعن جهات من وظائف الإمام أو مما يقوم به

الإمام اتجاه الأُمَّة مثلاً في الرواية الثانية – **كي ما أن زاد المؤمنون شيئاً ردهم وإن نقصوا شيئاً أتمهُ لهم** – في أمور دينهم، مثلاً الرواية التي بعدها – **يُعرِّفُ الحلال والحرام ويدعو الناس إلى سبيل الله** – الراوية الأخرى – **ولولا ذلك لم يُعرَفُ الحقُّ من الباطل لولا وجود إمامٍ لولا وجودُ حُجةٍ في الأرض** – إن الله أجل وأعظم من أن يترك الأرض بغير إمامٍ عادلٍ لابد من وجود إمامٍ عادلٍ سواء كان ذلك الإمام بيدهِ السوط والسيف والحاكم أو لم يكن حاكماً لابد من إمامٍ عادل يكونُ ميزاناً ويكونُ مقياساً كما في الروايات الشريفة تصفُ الإمام بأنهُ بمثابة الترِ، الترِ هو شاقول البناء الشاقول التي يستعملهُ البناءون لمعرفة استقامة البناء هو مقياسُ البناء فلابد من وجود إمامٍ عادلٍ على الأرض يكونُ بمثابة المقياس.

في قول سيد الأوصياء – **اللَّهُمَّ إنَّك لا تخلي أرضك من حجةٍ لك على خلقك** – كيف يُحاسبُ الله العباد وهو لم يضع لهم ميزاناً دقيقاً الله سبحانه وتعالى سيحاسب العباد حساباً دقيقاً يوم القيامة كيف يحاسبهم حساباً دقيقاً وهو لم يضع لهم ميزاناً دقيقاً، الميزان الدقيق هو الحجة من قِبَلِهِ. هذه مجموعة من الروايات تحدَّثت عن أن الإمام يميز بين الحق والباطل يحتجُّ بهِ الله على العباد، حينما يزيدُ المؤمنون شيئاً أو ينقصون شيئاً من أمر دينهم هو يُتِمُ تلك النقيصة ويُزيلُ تلك الزيادة هو إمامٌ عادل هو مقياسٌ لمعرفة الظلم من العدل لمعرفة الحق من الباطل لمعرفة الهدى من الضلال هذا جانبٌ تحدَّثت عنهُ الروايات وجانبٌ آخر فيهِ بُعدٌ تكويني لو بقيت الأرضُ بغير إمامٍ لساخت، ساخت الأرض يعني زالت لو بقيت الأرضُ بغير إمامٍ لساخت والمقصود هنا بغير إمام ليس المقصود البُعد الجسدي قد يكون في الروايات السابقة التي تحدَّثت عن وجود إمامٍ عادل عن وجود حُجةٍ على العباد بين أظهرهم عن وجود إمام يميز بين الحق والباطل تكون هناك حاجة للوجود الجسدي للوجود المادي أما أن المراد لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت ليس المراد هنا البُعد الجسدي وإنما باعتبار أن الإمام هو بابُ الفيض وهذا هو الفارقُ بين عقيدتنا في الإمامة وبين عقيدة غيرنا وسيأتي توضيحُ هذا المطلب والروايات البقية أيضاً تشير إلى نفس هذا المعنى.

لو أن الإمام رُفِعَ من الأرض ساعة لَمَاجت بأهلها كما يموجُ البحرُ بأهله رُفِع ليس المقصود الرفع البدني وإنما انقطاع الفيض انقطاع اللطف الآتي من الله من طريق الإمام صلوات الله وسلامه عليه. فهذه الروايات تُجمِع على أنهُ لابد من وجودِ حُجةٍ لابد من وجودِ إمامٍ والحاجة إليه كما في هذه الروايات على نحوين: النحو الأول حاجة هي علمية وإرشادية حاجة ميزانية أنه هو ميزان لبيان الحق من الباطل ميزان لبيان الهدى من الضلال ميزان لبيان العلم من الجهل والإنسان إذا لم يكن مستطيعاً وقادراً على تمييز الحق وتمييز الهدى وتمييز العلم فإن الإنسان سيتيه وسيضل ستكون عاقبتهُ البوار.

المجموعة الثانية من الروايات تحدَّثت عن البعد التكويني عن الجانب التكويني لأن الإمامة هو بابُ الفيض وباب اللطف الإلهي النازل إلى الأرض النازل إلى الخلق. هذه مجموعة من الروايات، هناك مجموعة ثانية أيضاً أتناولها ثم أعَقِّب على الروايات الشريفة هناك بابٌ آخر: **بابٌ أنهُ لو لم يبقى في الأرضِ إلا رجلان لكان أحدهما الحجة.** نفس الكلام الأبواب السابقة أول باب تناولنا فيه الحديث هو باب الاضطرار إلى الحجة وهذا الكلام هو نفسهُ أن الأرض لا تخلو من حجة لأن الناس مضطرون إليه مضطرون محتاجون هناك ضرورة لوجودهِ وهذا الباب أيضاً في نفس السياق بابٌ أنهُ لو لم يبقى في الأرض إلا رجلان لكان أحدهما الحجة.

الرواية الأولى **عن بن الطيار سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لو لم يبقى في الأرض إلا اثنان لكان أحدهما الحجة.**

الرواية الثانية أيضاً **عن حمزة بن الطيار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لو بقي اثنان لكان أحدهما الحجة على صاحبهِ.**

الرواية التي بعدها **عن كرَّام قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لو كان الناس رجلين لكان أحدهما الإمام وقال: إن آخر من يموت الإمام لئلا يحتَجَّ أحدٌ على الله عزَّ وجلَّ أنه تركهُ بغير حجةٍ لله عليه.**

عن حمزة بن الطيار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لو لم يبقى في الأرضِ إلا اثنان لكان أحدهما الحجة أو الثاني الحجة – الشَكُّ من أحمد بن محمد شك في نقل الرواية وإلا المعنى والمضمون واحد.

عن يونس بن يعقوب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعتهُ يقول: لو لم يكن في الأرض إلا اثنان لكان الإمامُ أحدهما.

هذه الروايات سواء الروايات التي عنونت في باب الاضطرار إلى الحجة أو الروايات التي مرت علينا قبل قليل وهو أن الأرض لا تخلو من حُجةٍ لله أو الروايات التي سبقتها لابد من إمامٍ يُعرَف، لابد من إمامٍ يُمَيَز مُشخَّص عند الناس، أو هذه الروايات الأخيرة التي تتحدث أنهُ لو لم يبقى في الأرض إلا اثنان لكان أحدهما الحجة، كل هذه الروايات تشير وتتحدث عن مضمون ضرورة وجود الحجة والروايات في هذا المجال كثيرةٌ لكننا نحن بصدد ما تلوناه من الأحاديث الشريفة. هناك رواية اقرأها من بابٍ آخر وهو بابٌ معرفة الإمامِ والرد إليه وهذا الباب سنتناولهُ إن شاء الله في الحلقة القادمة فقط أقرأ الرواية الأولى حتى تتضح الصورة.

الرواية **عن أبي حمزة قال: قال: لي أبو جعفرٍ عليه السلام إنما يعبد الله من يعرف الله فأما من لا يعرفُ**

الله فإنما يعبدهُ هكذا ضلالاً، قلتُ جُعِلتُ فداك فما معرفة الله؟ قال تصديق الله عزَّ وجلَّ وتصديقُ رسولهِ صلى الله عليه وآله وموالاةُ عليٍ عليه السلام والإئتمام بهِ وبأئمة الهدى عليهم السلام والبراءةُ إلى الله عزَّ وجلَّ من عدوهم هكذا يُعرَفُ الله عزَّ وجلَّ – والروايات في هذا المضمون كثيرةٌ جداً عن النبي وآله الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم.

بعد هذه الجولة في هذه الروايات سواء الروايات التي تلوتها على مسامعكم في هذه الحلقة أو الروايات التي تلوناها في الحلقتين السابقتين كلها تتحدث عن هذا المضمون عن أي مضمونٍ؟ عن ضرورةِ وجود الحجة ولَمَّا أقول ضرورة وجود الحجةِ وجود الإمام المنصوب من قِبَل الله سبحانه وتعالى. هنا لابد من الإشارة إلى مسألةٍ مُهمةٍ نحن تحدثنا فيما سلف تحدثتُ عن الدليل الإنساني وتحدثت عن الدليل الذاتي وهو أننا ندرس المسألة بنفسها بما فيها من كمالٍ وبما فيها من نقص ومن خلال دراستنا لنفس المسألة يمكن أن نصلَ إلى الوجه الأفضل أو إلى الحقيقة الكاملة وهذا لا ينطبقُ على مسألة الإمامة فحسب وإنما ينطبقُ على الكثير إن لم يكن على كل المسائل العلمية المهمة. والحديث هنا عن الإمامة السؤالُ هنا الذي نطرحهُ: هل أن الإمامة حاجةٌ سياسية؟

هناك اشتباهٌ كبير ووقع فيهِ المخالفون لأهل البيت وإن كان الذين خالفوا أهل البيت والذين ناصبوا العداء لأهل البيت والذين غصبوا الخلافة الدنيوية من أهل البيت لم يكن في منظورهم مسألة فكرية أو عقائدية القضية قضية دنيوية قضية سلطان وقضية مال وقضية حكومة ولا نريد الدخول في هذه الجزئيات لكن هل أن الإمامة حاجةٌ سياسية للناس؟! هناك الكثيرون ممن تصوروا أن الإمامة حاجةٌ سياسيةٌ للناس، الناس يحتاجون للسياسة ولمن يسوسونهم في الحياة الدنيوية وهذه مسألةٌ مفروغٌ منها لا خلاف في حاجة الناس إلى سياسة أمورهم وفي حاجة الناس إلى من يسوسهم الناس لا يمكن أن يعيشوا عيشةً متوازنة ولا يمكن أن تكون الحياة حياةٌ مستقرةً ما لم يكن هناك نظامٌ ينظمُ الحياة نظام في بعدهِ السياسي في بعدهِ الاجتماعي وفي سائر الأبعاد الأخرى الناس بحاجة إلى نظام حتى تستقر أمور الحياة وإلا ستتحول الحياة إلى غابة لابد من نظامٍ يُنظّمُ حياة الناس ومن هنا كانت السياسة حاجةً ضروريةً للناس ومن هنا كان وجود الذي يسوس الناس أمراً ضرورياً لكننا حين نتحدثُ عن الإمامة وحين تتحدثُ روايات أهل البيت عن الإمامة عقيدتنا نحن شيعة أهل البيت في الإمامة بحسبِ ما يريدهُ أهل البيت بحسبِ ما يريدهُ رسول الله بحسبِ ما يريدهُ الله لا بحسبِ ما نريدهُ نحن ربما هناك أيضاً من الشيعة من يتصور أن الإمامة مسألةٌ سياسية وأن الحاجة إلى الإمامة هي حاجةٌ سياسية، ربما يكون هناك ممن لا علم لهُ بحقائق الأمور، الإمامة ليست مسألةً سياسية وحاجتنا للإمامة ليست حاجةً سياسية، نعم من جملة

شؤون الإمامة الشأنُ السياسي وإلا لو كانت الإمامة مسألةً سياسية فحسب لو كانت مسألةً سياسيةً فحسب لكان أمرها هيناً جداً وإن كان هو ليس هين في الحقيقة لأن الذي يسوسُ أمورَ الناس أيضاً يحتاجُ إلى علمٍ متكاملٍ يسوس بهِ أمور الناس وإلا سيعبثُ بمصائر الناس ولكن قضية الإمامة لا تقف عند الجانب السياسي وإنما السياسة جزءٌ من شؤونات الإمامة، فهل الإمامةُ حاجةٌ اجتماعية؟ الإمامة أيضاً من جملة شؤوناتها الجانب الاجتماعي في حياة الناس حينما أقول حاجة اجتماعية المجتمع يحتاجُ إلى أمرين: يحتاجُ إلى نَظم اجتماعي وهذا النظم الاجتماعي قد تقوم الآن في زماننا هذا المجتمعات المتطورة هناك مجتمعات متطورة يُنظم أمورها إضافةً إلى القانون وإضافةً إلى الحكومة هناك مؤسسات المجتمع المدني وهناك الجمعيات الخيرية وهناك الأندية الثقافية هذه كلها تساعد على نظم المجتمع وعلى أن ترسم للمجتمع صورة يكاد أن يكون بشكلٍ أفضل مما لو لم تكن هذه المؤسسات موجودة لو لم تكن هذه الأندية والجمعيات ولو لم يكن هذا النظام الاجتماعي وهناك أيضاً البُعد الأخلاقي المجتمع أيضاً كي يتنامى وكي تستقيم الحياة فيه لابد من وجود ضوابط أخلاقية ضوابط عرفية لابد من وجود آداب هذه الضوابط الأخلاقية والضوابط العرفية والآداب تنشأ من خلالِ المؤسسات الثقافية في المجتمع ومن خلال هذه المؤسسات التي تنظم الحياة الاجتماعية.

فهل أن الإمامة هي حاجةٌ اجتماعية فقط في هذا البُعد؟! نعم الإمامة حاجة اجتماعية ولكن الإمامة ليست هي حاجة اجتماعية في كل أبعادها، جانب من جوانب الإمامة أن الإمامة تمثل حاجة اجتماعية. هل أن الإمامة حاجةُ دينية؟ نعم الإمامة حاجةٌ دينية لكن وفق أي فهمٍ للدين؟! هل أن الدين هو قانون، نظام، هل أن الدين هو فقط الرسالة العملية والجانب الفقهي، هل أن الدين هو قوانين نصوص موجودة في كتب معينة يحفظها أُناس معينون حتى لو كان الدين بهذا البُعد وبهذا التصور فنعم الإمامة حاجة دينية ولكن كل هذه التصورات التصور عن أن الإمامة حاجة سياسية ثم هذا التصور يبدأ يصغر فيصغر حتى نضعهُ في إطار حكومة فبما أن الحكومة تقوم بالدور السياسي يمكن أن تقوم مقام الإمامة، أو أن الإمامة حاجة اجتماعية ثم يصغر هذا الدور شيئاً فشيئاً بمرور الزمن فيمكن أن نقول بأن مؤسسات المجتمع المدني والجمعيات الخيرية والجمعيات الإنسانية والأندية الفكرية والمؤسسات الثقافية يمكن أن تقوم بالدور الاجتماعي والأخلاقي للإمامة، أو أن الإمامة هي حاجةٌ دينية في بُعدها الروحي أو في بُعدها القانوني وحينئذٍ يمكن أن تنشأ أديان ومؤسسات دينية تسد هذا الفراغ الروحي أو الفراغ القانوني من الوجهة الدينية كما هو الحال في أن المؤسسة الفقهية عندنا تسد الفراغ القانوني أو قد تكون تسد الفراغ الروحي وحتى في ديانات أخرى، الديانة البوذية مثلاً يرى الذين يعتنقونها أن مؤسستهم الدينية وأن فكرهم الديني يسد الحاجة الروحية لهم فهل أن الإمامة أبعادها محصورة في

هذه الجوانب حتى وإن أردنا أن نناقش هذه الجوانب فهذه الجوانب تحتاج إلى إمامة كاملة إلى جهة كاملة البُعد السياسي لا يمكن أن تتحقق فيه العدالة ما لم يكن هناك إمام عادل حقيقةً والبُعد الاجتماعي لا يتكامل لأنهُ بحاجة إلى ثقافة متكاملة وهذه الثقافة المتكاملة لا يمكن أن نجدها إلا عند إمامٍ متكامل وأيضاً المسألة الدينية كان في بُعدها الروحي أو كذلك في بُعدها القانوني في بُعدها التنظيمي في بُعدها الطقوسي هذه كلها تحتاج إلى إمام متكامل إلى جهةٍ متكاملة لكن القضيةُ أبعد من ذلك.

نحنُ كيف نفهم الدين؟ هل نفهم الدين أنهُ مجرد طقوس ورموز مجرد قواعد وقوانين مجرد أحكام ما يسمى بالأحكام التكليفية مثلاً في ديننا هل الدين هو فقط في الأحكام الخمسة في أحكام الحلال والحرام في حكم الوجوب في حكم الحرمة في حكم الاستحباب في حكم الكراهة في حكم الإباحة هل هو في دائرة هذه الأحكام هل أن الدين هو في دائرة طقوس ومناسك وعبادات أو هو فقط في تشريع قوانين المعاملات حين يُقال الدين المعاملة لا يعني أن الدين وهذا حديث عن النبي صلى الله عليه وآله لا يعني أن الدين محصورً بالمعاملة وإنما إشارة إلى أهمية المعاملة في حياة المجتمع الإنساني، ما هو الدين؟ الدين هل هو نصوص هل هو طقوس، هل هو عبادات، هل هو قواعد وقوانين للمعاملات اليومية، هل هو مجموعة من الاعتقادات الغيبية، ما هو الدين؟ كيف نفهمُ الدين حينما نقول أن الإمامة حاجة دينية قلنا الإمامة حاجة سياسية وقلنا أن الإمامة حاجةٌ اجتماعية وقلنا أيضاً أن الإمامة حاجة دينية فهل المراد من أن الإمامة حاجة دينية بهذه الأبعاد؟ وربما الكثير من المتدينين يتصورون أن الدين في هذه الأبعاد لا أقول أن هذا التصور عن الدين إنهُ تصور خاطئ لكنهُ تصورٌ منقوص، هذا التصور عن الدين بهذا اللحاظ ناظر إلى زاوية إلى جانب معين كما مثلاً الحديث يقول – **الدين المعاملة** – ويأتي شخص فيقول إن الدين هو المعاملة ونأخذ هذه الزاوية فقط هذه الصورة فقط الدين حاجةٌ ضروريةٌ لحياة الإنسان وحينما أقول حاجة ضرورية كحاجة الإنسان للهواء الذي يتنفسهُ وكحاجة الإنسان للطعام وللشراب الدين حاجة ضرورية، قد يفهم البعض المراد من الضرورة هنا ضرورة في بُعدها الاجتماعي في بُعدها الأخلاقي طبعاً هناك من علماء الاجتماع الغربيين الآن في زماننا هذا من يعتبرون أن المجتمع لا يمكن أن يتكامل إلا بوجود عدة مؤسسات، المؤسسة الأولى هي المؤسسة الأُسَرية الأُسرة والمؤسسة الثانية هي المدرسة المؤسسة التربوية والمؤسسة الثالثة هي المؤسسة الدينية أياً كانت هذه تُمثل الكنيسة في العالم المسيحي أو أي مؤسسة أخرى في بقية الأديان ثم المؤسسة الحكومية يقولون إن المجتمع لا يمكن أن يسير السير المنتظم إلا بوجود هذه المؤسسات الأربع:

المؤسسة الأُسرية التي ينشأ فيها الإنسان نشأة طبيعية من الجانب البيولوجي من الجانب النفسي ومن الجانب

الأخلاقي ثم يحتاج إلى المؤسسة التربوية إلى المدرسة كي يتعلم ثم يحتاج إلى المؤسسة الدينية كي تضبط الجانب الروحي تسد الحاجة الروحية والجنبة الأخلاقية ثم يحتاج إلى المؤسسة الحكومية كي تُنظم القوانين وتُنظم الحقوق والحريات فالمجتمع يقوم على هذه الحاجات على هذه المؤسسات الأسرة والمدرسة والمؤسسة الدينية والحكومة مؤسسة القانون هذه حاجات ربما قد يتصور البعض أن الحاجة إلى الإمامة هي من هذا القبيل نعم هناك حاجةٌ للإمامةِ من هذا القبيل وقد يتصور البعض أن الحاجة للإمامة هي لأجل بيان الهدى والضلال قضية دينية روحية محضة نعم هناك حاجةٌ للإمامة في هذا الجانب وهذه أيضاً من شؤونات الإمام قد يذهب حتى الذين لا يعتقدون بوجود الدين الإلهي الكثير من علماء الاجتماع يعتقدون من علماء الاجتماع الغربي يعتقدون بأن الدين صناعةٌ بشرية هناك دراسات معروفة دراسات الطوطمية التي تعتبر أن الدين أساساً ابتدأ من الطوطميات من الخرافة الطوطم مصطلح إشارة إلى البدايات الأولى التي تأسس عليها الدين وفقاً للصناعة البشرية كما يعتقدهُ الكثير من علماء الاجتماع من علماء الغرب على أن خوف الإنسان من الطبيعة دفعهُ إلى أن يتعامل مع قوى الطبيعة بشكلٍ فيه بُعد غيبي ونشأ الدين على هذا الأساس وأنا لا أريد الخوض في هذه القضية حتى هؤلاء ذهب البعض منهم مع اعتقادهم مع اعتقادهم بأن الدين نشأ من صناعةٍ بشرية قالوا بان الدين ضرورة من ضرورات الحياة خصوصاً إذا أردنا أن ندرس حياة المجتمعات البشرية في الأعصر القديمة نحن الآن إذا أردنا أن ندرس آثار الأُمَم السالفة ما من أُمَّة من الأُمم إلا ونجد أن من أهم آثارها المعابد من أهم آثارها هي دارُ الديانات، المؤسسة الدينية.

يمكن أن نجد مجتمعاً بشرياً ليس فيه مدرسة وليس فيه مستشفى وليس فيه مصنع لكن لم نجد مجتمعاً بشرياً ليس فيه مؤسسة دينية وهذه حاجة روحية للإنسان سواء كان هذا الدين ديناً حقيقياً أم ديناً مُفترى من قِبَل الناس مصطنع من قِبَل الناس لأن الإنسان مثل ما عندهُ حاجة مادية عندهُ حاجة معنوية وهذه الحاجة المعنوية لا تُسد إلا بالدين قد يخدع الإنسان بدينٍ باطل وبدين ضلال، أنا الآن لست بصدد البحث في كل هذه الجزئيات لكن الحاجة إلى الدين هي حاجة ضرورية عند الإنسان نحنُ الآن إذا ألقينا نظرة عامة في حياة المجتمعات البشرية حتى المجتمعات التي يَعمُّ فيها الإلحاد ويَعمُّ فيها إنكارُ الدين هناك ظاهرة عامة في كل مجتمعات البشرية مثلاً نجد أن الناس يلجؤون إلى التعاليم الدينية عند الولادة كثير من الشعوب إن لم تكن كل الشعوب عندما يولد عندها مولود تمارس طقوساً معينة عند الولادة أو قبل ولادة الأم بفترة قليلة وبعد ولادة المولود هناك طقوس دينية تمارس الناس يرجعون إلى الدين لممارسة هذه الطقوس وإن لم يعتقدوا بالدين وعند الموت أيضاً، أيضاً في قضية الموت وعند الزواج عند الولادة وعند الموت وما بينهما عند الزواج فعند الزواج وعند

الموت وعند الولادة نجد أن الناس الشعوب تلجأ إلى مؤسساتها الدينية بغض النظر أن هذه الأديان أديان هدى وأديان ضلال أن هذه الأديان من الله أو من الإنسان، المناسبات المهمة في حياة البشر الأعياد الآن في كل دول العالم دول العالم المتقدمة وغير المتقدمة المناسبات والعُطل المهمة والأعياد المهمة تجد أن أصولها دينية الآن أهم المناسبات في حياة كل الأُمَم في حياة المسلمين في حياة النصارى في حياة اليهود في حياة البوذيين في كل الأُمم في كل الشعوب أهم المناسبات العالمية والتي يهتمُ بها الناس هي مناسبات في أصولها دينية، كذلك حينما تعمُّ الكوارث الزلازل البراكين الفيضانات وغير ذلك من الكوارث الطبيعية نجد أن الناس عندهم نزوع نحو مؤسساتهم الدينية المسيحي ينزع إلى كنيسته واليهودي إلى معبدهِ وهكذا والمسلم إلى مسجدهِ هناك نزوع كل أصحاب الديانات ينزعون إلى مؤسساتهم إلى رموزهم الدينية حينما تشتدُ الكوارث وغير ذلك من الحالات الكثيرة في حياة الناس التي يلجئون فيها إلى دينهم هناك حاجة ضرورية وأساسية ومهمة في حياة الناس وإن يُكابر البعض لذلك بعض هؤلاء بعض هؤلاء الذين لا يعتقدون بأن الأديان هي من الله وإنما الأديان هي صنيعة الناس وتدخلت السياسة وأصحاب رؤوس الأموال وتأسست طبقة جديدة من رجال الدين لها منافع كثيرة من قِبَل مؤسستهم الدينية وهناك تعاون فيما بين الحاكم ورجال الدين وهذا التفكير موجود إن كان يعني في الثقافة الماركسية أو في غير الثقافة الماركسية، في الثقافة العلمانية في الثقافة الماركسية وفي غيرهما هناك دراسات موجودة وفقاً لهذا المنظور البعض منهم أنا قرأت في بعض هذه الدراسات يقولون بأنه حتى لو كان هذا الدين خرافة والإنسان صنعهُ لكن في كثير من مقاطع الحياة وفي كثير من مقاطع التأريخ البشري كان لهذه الأديان الفائدة الكبيرة في حياة المجتمعات سواءاً في نضج هذه المجتمعات أو في الجانب الأخلاقي أو حتى في تعاون هذه المجتمعات عند الشدائد وعند المحن أو بالوقوف في وجه الظلم مثلاً وتغيير النظام السياسي.

يذكرون قصة فلسفية هم هؤلاء وفقاً لذوقهم يقولون في بلدٍ من البلدان القصة هم يختلقونها يأتون بها مثالاً على أهمية الدين ولو كان منشأ هذا الدين من خرافة يقولون في بلدٍ من البلدان هناك رجل صنع منطاداً فبعد أن أتمَ هذا المنطاد صعد فيه فأهل ذلك البلد أهل تلكم المدينة رأوا هذا الرجل قد صعد في المنطاد والمنطاد أخذهُ فهم بحسب ما يرون أنه غاب في الأفاق العالية في الفضاء فقالوا إن هذا الرجل كنا لا نعرف قيمتهُ هذا هو ابنُ الإله هذا أبن الشمس والشمس هي الإله وذهب إلى أبيه ووفقاً لهذا نشأ دين نشأت مجموعة من الناس كوَّنوا ديناً وأفكاراً ومعتقداً وأسسوا معبداً وأسسوا تعاليم وأحكام أخلاقية وقطعاً هؤلاء حينما يريدون أن يبتكروا ديناً قطعاً سيبتكرون من التعاليم التي تُرغِّب الناس في هذا الدين من التعاون من الصدق من الأمانة إلى غير ذلك من الأخلاق ونشأ هذا الدين والناس ألتزمت به وتمسكت به يقولون من عشرين من ثلاثين سنة رجع هذا الرجل

فصادفهُ بعض الحكماء بعض العقلاء من أهل هذا البلد فلمَّا اخبرهم بأمرهِ أنه قد صنع منطاداً وسافر بهِ إلى بلدٍ آخر وهو الآن قد رجع ولا أصل لهذه القضية لا هو ابن الإلهة ولا أنهُ قد ذهب إلى أبيه في الشمس قالوا لهُ الأفضل أن تعود من حيث أتيت لأنك إذا دخلت إلى البلد ستُفسد على الناس دينهم وبذلك ستفسد أخلاقهم وسيختل النظام الموجود قصة مبتكرة ومفتراة وهذه خرافة، مرادي من إيراد هذا الكلام أن هؤلاء الذين قالوا أن الدين هو صنيعة بشرية الإنسان هو الذي اصطنع الدين إن كانت حاجتهُ حاجة حقيقية أم غير حاجة حقيقية لأمرٍ سياسي ولمطامع مالية لكن بالنتيجة هناك فوائد ومنافع ترتبت على وجود هذا الدين كل هذا يكشفُ عن حقيقة وهو الحاجة الروحية للإنسان كما أن الإنسان يحتاجُ إلى الطعام وإلى الشراب فهو يحتاجُ إلى الغذاء الروحي فأين هو الدين من كل هذا؟! هل الدين حاجة سياسية؟ هل الدين حاجة اجتماعية؟ هل الدين حاجة روحية؟

نعم يمكن أن نقول أن الدين يسد الحاجة السياسية وأن الدين يسد الحاجة الروحية وأن الدين يسد الحاجة الاجتماعية لكن هذا كله طفوٌ من الكلام الدين شيء أبعد من كل هذا والذين تصوروا أن الإمامة هي مجرد حكم وجلوس على العرش فهؤلاء لا يفهمون شيء من الدين قلت أن الذين غصبوا الخلافة غصبوها لأجل الدنيا مطامع دنيوية لكن الإمامة التي نحن نتحدث عنها هذه الإمامة التي لو رُفعت ساعة من الأرض لساخت هذه إمامة لها بُعد آخر لها معنى آخر، الإمامة السياسة جزءٌ من شؤوناتها، الإمامة التربية الاجتماعية والأخلاقية جزءٌ من شؤوناتها الإمامة الحاجة الروحية والطقوس والعبادات والقوانين والنظام الفقهي جزءٌ من شؤونات الإمامة والإمامة هي بابٌ لنزول الفيض هي سببٌ لنزول المدد الإلهي سبحانه وتعالى والإمامة والإمامة أبعدُ من كل ذلك لكنني أُقرِّب المعنى بهذه الصورة أحاول أن أُقرِّب المعنى بهذا المثال الجنين في بطن أمهِ حينما كنا أجنة في أرحام أمهاتنا الجنين في رحم الأم إلى أي شيءٍ يحتاج؟ يحتاج إلى الطعام الذي يصل إليه من طريق الأم ويحتاج أيضاً إلى الجو الموجود في رحم الأم الجو بكل ما فيه من درجة الحرارة من عوامل الضغط من السوائل الموجودة الحافظة لهذا الجنين من المواد التي تصل إلى هذا الجنين كي يتنامى وينمو ويتكامل إلى جميع كل تلكم الأشياء التي يحتاجها الجنين في رحم الأم وأيضاً يحتاج إلى الجانب المعنوي إلى الجانب العاطفي إلى الجانب الإحساسي والمشاعري لذلك مشاعر الأم لها التأثير الكبير على الجنين الأم حينما تكون في حالة همٍّ وغم سينعكس هذا على الجنين وحينما تكون في حالة فرح وسرور سينعكسُ هذا على الجنين وحينما تكون في حالة أمن أو حالة خوف وسائر الحالات النفسية الأخرى الجو النفسي الذي تعيشهُ الأم والذي أيضاً تعكسهُ على طفلها لهُ التأثير على هذا الطفل، هذا الجنين الموجود في الرحم كما أنهُ يحتاج إلى الطعام وإلى الغذاء وإلى سائر

الأمور الأخرى يحتاج إلى نظام أسمهُ نظام الأمومة الجنين ليس محتاجاً فقط إلى طعامٍ وشراب إلى غذاء أيضاً يحتاج إلى وعاء وهو وعاء الأمومة، وعاء الأمومة كما أنهُ فيه الجانب المادي فيه الجانب المعنوي فيه الجانب الاحساسي والمشاعري. الجانب الإحساسي والمشاعري الموجود عند الأم في نظام الأمومة لا يمكن أن يجدهُ الجنين في أي نظامٍ آخر نظام الأمومة هذا النظام الذي أوجدهُ الله سبحانه وتعالى هو النظام الذي في ظلهِ يتكامل الجنين ولَمَّا يخرج الطفل يولد أيضاً هو يحتاج إلى الغذاء ويحتاج إلى عوامل عديدة من ضروريات استمرارية حياته من مقومات الحياة من مكان النوم والراحة إلى الدواء لو مرض إلى ملابسهِ إلى غير ذلك ويحتاجُ إلى حليب أمهِ في نفس الوقت يحتاج إلى نظام الرعاية من الأمومة هناك نظام الأمومة قسم الحمل وهناك نظام الأمومة قسم الرعاية والتربية والمداراة لهذا الطفل ولو كَبُر أيضاً يحتاج إلى رعاية من الوالدين رعاية من الأسرة رعاية من المجتمع هناك نظام، لكنهُ لو بلغ إلى سن التكليف ودخل في دائرة التكليف هنا يحتاجُ الإنسان إلى نظامٍ جديد هذا النظام هو نظامُ الإمامة نظام الإمامة يحتاجهُ الإنسان مثل ما كان الجنين في بطن أمهِ يحتاج إلى نظام الأمومة الإنسان في بطن أمهِ يحتاج إلى نظام الأمومة وهذا الجنين لا يعرف مدى أهمية هذا النظام قد يعرف يستشعرُ بالفطرة شيئاً من أهميتهِ لكنهُ لا يعرف حقيقة هذا النظام لو أن هذا الجنين لو أن هذا الجنين أُخرِجَ من رحم أمهِ إلى مكانٍ آخر نعم قد ينال الغذاء لكنهُ لن ينال ذلك الإحساس سيكون بعيداً عن نظام الأمومة لو رُبِّيَ في مكانٍ آخر كما الآن يعني يُربّىَ الأطفال مثلاً الخدَّج في أماكن خاصة مخصصة لهم حينما يُفصل عن نظام الأمومة قطعاً سيصيبه نقص كبير سواء استشعر الإنسان بهذا النقص أم لم يستشعر.

الإنسان لَمَّا يصل إلى سن التكليف نفس الشيء في حال الرضاعة يمكن للطفل أن يرتضع وأن يشرب الحليب حليب مُصنَّع أو حليب حيوانات لكن هناك نقص سيصيبهُ سواء استشعر الإنسان هذا النقص أم لم يستشعره وربما الإنسان لا يرى هذا النقص لكن هناك نقصٌ يحصل نفس الشيء الإنسان حينما يصل إلى سن التكليف كأنه بحاجة إلى وعاءٍ جديد إلى نظامٍ جديد هذا الوعاء وهذا النظام هو وعاء الإمامة ومن دون وعاء الإمامة لا يستطيع الإنسان أن يتكامل في مسيرتهِ لأن الإنسان حينما كان الجنين في بطن أمه لو لم يكن هذا النظام موجوداً لَما استطاع هذا الجنين أن يخرج إلى عالم الولادة ولو لم يكن هناك نظام الرعاية بعد الولادة لَما استطاع أن يتكامل وأن يصبح سوياً حتى يصل إلى سن التكليف فلمَّا وصلَ إلى سن التكليف هو بحاجة إلى نظام هذا النظام هو الذي سيوصلهُ إلى مرحلة ما بعد الحياة مرحلة الموت والموت هي بابٌ جديد لحياةٍ أخرى لمرحلةٍ أخرى كما تقول الروايات الشريفة الموت إنما هو نُقلى من دارٍ إلى دار وليس انعدام فبحاجة إلى نظامٍ يوصلهُ بشكلٍ كامل إلى مرحلةٍ أخرى وهكذا فالإمامة هي نظامٌ لذلك نجدُ في الروايات في وصف الإمام أنهُ أبرُّ بنا من

الأم الرؤوم من الأم الرؤوف، أنهُ أحنُّ علينا من الوالدة على وحيدها التي ليس لها إلا ولد واحد وهو أحنُّ علينا من الوالدة على وحيدها، الإنسان حينما يصل إلى هذه المرحلة بحاجة إلى هذا النظام الحاجة إلى الإمامة ليس فقط في بُعدها السياسي ولا في بعدها الاجتماعي ولا في بُعدها الروحي ولا في بُعدها التكويني بل نحن نحتاجُ الإمامة الإنسانُ يحتاجُ الإمامة في كل شيء سواء أبعاد نتصورها أو أبعاد لا نتصورها مثل ما الجنين في رحم أمهِ سواء كان يتصور الأبعاد التي يحتاجها من نظام الأمومة أو لا يتصورها هناك أبعاد كثيرة لا يتصورها هو، بل نحن بل العلماء المتخصصون في الطب وفي غير الطب وفي علم النفس إلى الآن لم يصلوا إلى إدراك أبعاد الأمومة وحاجة الجنين إلى نظام الأمومة أدركوا شيئاً كثيراً لكن لم يُدركوا كل شيء فما بالك بنظام الإمامة نظام الأمومة نظام الأمومة ومن اللطف تجد أن هذه الكلمات يمكن أن تتحد في الأصل الأمومة والإمامة الأمومة أيضاً هي من الأَمّ والإمامة أيضاً من الأَمَ صحيح أن الأمومة من الأُم والأم هي الجامعة الأم هي الجامعة أو هي الأصل أم الشيء أصلهُ وأصل الشيء هو جامعهُ والإمامُ من الأَم والأَمّ هو الجمع أيضاً وهو الأصل وأمُّ الكتاب هي إمام الكتاب أمُّ الكتابِ إمامُ الكتاب أمُّ الكتابِ جامعة الكتاب وإمام الكتاب جامعُ الكتاب على أي حالٍ ليس الحديثُ عن الجانب اللغوي لهذه الكلمات أو لهذه العناوين فالحاجة للإمامة هي حاجةٌ لكل شيء في جميع الأبعاد وهذه الروايات التي ذكرتها في أول البرنامج تحدثت عن جوانبَ من خصائص الإمامة لأن الدين هو وعاءٌ هذا وعاء مثل ما الرحم وعاء للجنين الدين وعاء وليس نظام فقهي النظام الفقهي هو جانب من الدين.

الدين هو وعاء نحن مثلاً حينما نتصفحُ الكتاب الكريم مثلاً في سورة البقرة المباركة في قصة أبينا آدم عليه السلام الآية الثامنة والثلاثون بعد قصة آدم ﴿**قلنا اهبطوا منها جميعاً**﴾ الخطاب، هنا قلنا اهبطوا منها جميعاً: اهبطوا من تلكم الجنة من ذلك العالم الخطاب لأبينا آدم ولأمنا حواء ولعدوهما إبليس ﴿**قلنا اهبطوا منها جميعاً**﴾ جميعاً هنا للثلاثة الخطاب موّجه لأبينا ولأمنا ولعدونا إبليس ﴿**قلنا اهبطوا منها جميعاً فأما يأتينكم مني هُدىً فمن تبع هداي فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون**﴾ لم تقل الآية إما يأتينكم مني مثلاً نظاماً فقهياً أو شرعياً، هدىً الهدى النظام الفقهي والنظام الشرعي يكون جزءاً من هذا الهدى هناك وعاء، هو وعاءُ الهدى هذا الوعاء الذي يمثلهُ الدين والذي نحتاجهُ في كل جزءٍ من أجزاء حياتنا هو نفس المضمون الذي تشير إليه سورة النحل المباركة في الآية السابعة والتسعين ﴿**من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن**﴾ العمل جانب من جوانب الدين

ولكن هناك شرط وهو مؤمن ﴿من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن﴾ ماذا يترتب على هذا؟ ﴿فلنحيينهُ حياةً طيبة﴾ الحياة الطيبة هي ليست فقط محصورة في نظامٍ فقهيٍ وأحكام شرعية النظام الفقهي هو جزء من الحياة الطيبة، الحياة الطيبة في بُعدها الفقهي في بُعدها الأخلاقي في بُعدها العقائدي في بُعدها التكويني في بُعدها الإنساني، نحن نحتاج الإمام المعصوم حاجةً إنسانية والحاجة الإنسانية أعم من كل هذه المباحث أنا أحتاجُ الإمام المعصوم لأنني إنسان وحاجات الإنسان ليست محصورةً في بُعدٍ واحد، ليست محصورةً في بُعدٍ سياسي أو في بُعدٍ اجتماعي أو في بُعدٍ فقهي أو في بُعدٍ طقوسي حاجات الإنسان حاجات كثيرة، أنا أحتاج الإمام المعصوم لأنني إنسان لا أني احتاج الإمام المعصوم لأنني محكوم أحتاجُ إلى سياسيٍ يحكمني أو لأنني جزءٌ من المجتمع والمجتمع بحاجة إلى أعراف وأخلاق نعم هذه حاجاتٌ من حاجات الإنسان لكنني أحتاج الإمام المعصوم لأنني إنسان ولذلك الدين خاطبَ الإنسان يا أيها الإنسان، يا أيها الناس هذا يردنا إلى كلامنا السابق في الحديث عن الدليل الإنساني وعن البحث الإنساني وعن ارتباط الإمامة بهذا الموضوع وأن من أهم الأدلة على الإمامة هو الدليل الإنساني حاجتنا للإمام هي حاجتنا الإنسان لمن يسد تمام حاجاتهِ.

﴿من عَمِلَ صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينهُ حياةً طيبة﴾ هذه الحياة ليست حياةً سياسية ولا حياةً اجتماعية ولا حياةً فقهية ولا حياةً في ظل طقسٍ أو عبادةٍ معينة حياة مطلقة هذه حياة مفتوحة على كل هذه الحاجات، الحياة الطيبة حياة تحتاج إلى السياسة وتحتاج إلى الأخلاق وتحتاج إلى المجتمع الرصين وتحتاجُ إلى الفقهِ والأحكام وتحتاجُ إلى العقيدة السليمة وتحتاجُ وتحتاجُ وتحتاج هذه الحياة الطيبة هي الحياة التي دعانا لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذه الآية أوضح من سابقاتها الآية الرابعة والعشرون من سورة الأنفال ﴿يا أيها الذين أمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ يا أيها الذين آمنوا: هذا الخطاب أعمق من الخطاب الموجه للإنسان لأننا قلنا حينما يخاطب الإنسان يا أيها الإنسان يخاطب بعقلهِ بفطرتهِ بوجدانهِ بحواسهِ بالواقع الذي يعيشه أما حينما يكون الخطاب يا أيها الذين آمنوا يُضافُ إلى كل تلكم الوسائل الإيمان خطابٌ للعقل، للوجدان، للفطرةِ، للحواس، وللواقع الذي يعيشهُ الإنسان إضافةً إلى الإيمان يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله الذين آمنوا هم قد استجابوا لله لكن هذه استجابة ثانية كيف آمنوا لا يمكن أن يكونوا قد آمنوا إن لم يكن قد استجابوا لله ولكن هذه استجابة ثانية.

كما مرَّ علينا في تفسير سورة الفاتحة ﴿إياك نعبدُ وإياك نستعين﴾ الهداية حاصلة هنا ثم بعد ذلك نقول

﴿أهدنا الصراط المستقيم﴾ هذه هداية ثانية هذه هداية أعلى رتبة ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ الإيمان حاصل والإيمان لا يحصل ما لم تكن هناك استجابة لله ولرسوله ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ دعوةٌ للحياة طبعاً في روايات أهل البيت دعوةٌ لولاية علي وآل عليٍ صلوات الله عليهم ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول﴾ لأي شيءٍ؟ ﴿إذا دعاكم لما يحييكم﴾ هذه الآية الرابعة والعشرون من سورة الأنفال المباركة الدينُ هو هذا الهدى وهو تلكم الحياة الطيبة وهي هذه الحياة ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ فالدين هو هذا الوعاء الكامل الدينُ هو الوعاء الممتلئ بكل حاجات الإنسان فأنا أحتاج الدين لأنني إنسان والدين هو الإمام والإمام هو الدين وهذا المعنى واضحٌ في كلمات أهل البيت لذلك قضية الإمامة ليست قضية حاكم يحكم الناس وقضية الإمامة ليست قضية مُصلح اجتماعي كما يحلو للبعض أن يصف الإمام المعصوم بأنهُ مُصلحٍ اجتماعي أو بأنهُ مُربي وليست القضية قضية للتمييز بين الحق والباطل فقط قضية الإمامة أبعد من كل هذه المعاني كما أن الجنين في رحم أمهِ بحاجة إلى منظومة ونظام الأمومة الإنسان حين يصل إلى سن التكليف الشرعي هو بحاجة إلى منظومة الإمامة بكل أبعادها وهذا هو الذي يريد أن يشير إليه الأئمة.

بابُ الاضطرار إلى الحجة، لابد من وجود إمامٍ يُعرَف في الأرض لابد من وجود حجة على الأرض وأن الأرض إذا رُفِعَ منها الإمام ساعة لساخت، هذه الأبواب التي مرت علينا والتي ستأتينا مثلاً باب الاضطرار إلى الحجة أن الحجة أمرٌ ضروريٌ في الحياة، أيضاً مرَّ علينا باب أن الحجة لا تقومُ لله على خلقهِ إلا بإمامٍ يُعرَف لابد أن يكون هناك إمام معروف مميز مُشخَّص، بابٌ أن الأرض لا تخلو من حجة، بابٌ أنه لو لم يبقى في الأرض إلا رجلان لكان أحدهما الحجة وستأتينا أبواب أخرى أيضاً في هذا المضمون، كل هذه الأبواب كل هذه النصوص تتحدث عن ضرورة وجود الإمام عن ضرورة الإمام عن ضرورة الحجة، هذه الضرورة ذُكِرت بمعناها العام لم تُذكر ضرورة فقط لأجل بيان الحق من الباطل جاء في بعض الروايات أن من وظائف الإمام بيانُ الحق من الباطل وجاءت وظائف أخرى وجاءت أنهُ لو رُفِعَ من الأرض لساخت وهناك وظائف كثيرة ستأتينا في طوايا الأحاديث القادمة هناك طوايا كثيرة جداً من وظائف الإمام هذا المراد من أن الإمام ضرورة، ضرورة بالمعنى المطلق الإمام ضرورة بالمعنى المطلق لا بالمعنى النسبي الإمام ضرورة للإنسان بالمعنى المطلق ومراد أن الإمام ضرورة

بالمعنى المطلق أن الإنسان يحتاجُ الإمام بالمعنى المطلق هذا هو معنى الضرورة وهذا هو معنى مرادي أنني أحتاج الإمام لأنني إنسان أنا أحتاج الإمام المعصوم في البعد الإنساني، البُعد الإنساني حاجاتهُ كثيرة وأيضاً حاجتي مُطلقة حاجتي مطلقة ولا يمكن أن أجد باباً تُسدُّ منه حاجتي إلا باب الإمامة وهذا الباب بابٌ ليس بإمكان سلطان يحكم الناس بالسوط والسيف أن يسدُّهُ هذا بابٌ لا يُسَدُّ إلا من قِبل الله سبحانه وتعالى لذلك حينما نقرأ في صفات الإمام المعصوم أنهُ وجهُ الله الذي إليه يتوجه الأولياء، أنهُ السببُ المتصلُ بين الأرض والسماء، أن إياب الخلق إليهم وحسابهم عليهم ما المراد من كل هذه المعاني ومعاني كثيرة أخرى نظرة سريعة على الزيارة الجامعة الكبيرة يكفي، تكفي لأن تتجلى كل هذه المعاني نظرة سريعة لو قرأنا الزيارة الجامعة الكبيرة بشكلٍ سريع لوجدنا كل هذه المعاني: إيابُ الخلق إليكم وحسابهم عليكم، من أراد الله بدأ بكم. هذه المعاني وأمثالها كلها تشير إلى أن الإمام ضرورة مطلقة كما أن حاجة الإنسان حاجة مطلقة حاجتي مفتوحة على جميع الاتجاهات ولا تقف عند مكانٍ معين أبداً حاجات الإنسان تزداد يوماً بعد يوم وكلمَّا تطورت الحياة أيضاً تزداد حاجات الإنسان في كل أبعادها في أبعادها التشريعية في أبعادها التكوينية في أبعادها المادية في أبعادها المعنوية حتى في أبعادها المشاعرية والإحساسية في كل أبعادها وليس هناك من جهةٍ يمكن أن تسد هذه الحاجات إلا هذا النظام نظام الإمامة فنظام الإمامة بالنسبة لنا كنظام الأمومة بالنسبة للجنين ومن هنا يتجلى معنى أن الإمام ضرورة مطلقة وهذه الروايات وغيرها كلها تشير إلى هذا المعنى.

وإن شاء الله يأتينا الكلام في الحلقات القادمة والروايات الآتية تتضافر مع هذه الروايات ومع التي ستأتي بعدها كلها تصب في هذه الحقيقة وأنا من البداية قلت في الحلقة الأولى أن الأساس الذي أُسِسَ عليه هذا البرنامج هو حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **من مات ولم يعرف إمام زمانهِ مات ميتةً جاهلية.**

هذا هو آخر الحديث في هذه الحلقة من برنامجنا هذا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وفي الختام :

لا بُدّ من التنبيه الى أنّنا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع زهرائيون.

مع التحيات

المُتابَعة

زهرائيون

1433 هـ